بسم الله الرحمن الرحيم
(مهزلة العقل الروائي)

(الرد على الشيخ سعيد الكمّلي في تسجيل له على اليوتيوب بتاريخ ٢٧ أبريل ٢٠٢٣ بعنوان "أقوى وأجمل الردود على مَن ينكر الأحاديث بحجّة أنها تناقض العقل)

من فضل الله تعالى عليّ أنه يُلقي أمامي جميع أوساخ فرق هذه الأمّة في صورة مركّزة على ننظر فيها مرّة واحدة ونجيب عنها. هذه المرّة، أُلقي أمامي هذا تسجيل لهذا الشيخ السنّي الذي جمع فيه أسوأ ثلاث مشاكل تمرّ بها الأمّة، أقصد من مشاكلها الجذرية وأمراضها المستعصية، وهي مشكلة العنف ومشكلة الاختلاف ومشكلة العقل.

موضوع التسجيل رواية عن أبي هريرة في صحيحي البخاري ومسلم مضمونها أن مَلك الموت جاء إلى موسى عليه السلام فقال له "أجب ربك" فلطمه موسى ففقأ عينه. وما إلى ذلك.

بعد ذكر الرواية مختصرة بدأ الشيخ بالردّ على مَن يعترض على هذه الرواية، والتسجيل مدّته عشر دقائق تقريباً، تجمع في تقديري جذور سيئات الحالة العامّة للأمّة. فتعالوا ننظر إن شاء الله.

يمكن تصنيف ما جاء به الشيخ في الرد إلى صنفين أذكرها حسب تصنيفي لها وإن كان هو قد جاء بها مبعثرة، وراجع التسجيل إن شئت لتعرف بنفسك.

الصنف الأول: يتعلّق بالرواية والاختلاف.

يقول الشيخ بأن الاعتراض على هذا الحديث "طفولي"، وهو اعتراض قد عرفه السابقون، وروى قصّة عن هارون العبّاسي الذي يلقّبه أصحابه "الرشيد" رواية فيها أن شخصاً انتقد رواية أخرى لأبي هريرة التي فيها "احتجّ آدم موسى" في القدر فقال المنتقد "أين التقيا" على أساس أن الالتقاء في الأرض غير ممكن لتباعد الزمان بينهما والالتقاء في السماء غير ممكن لأن آدم في السماء الأولى وموسى في سماء أخرى فأمر هارون أحد غلمانه بأن يأتي بالسيف والنطع أي الجلد الذي كان يفرشه هؤلاء السفّاكون لذبح الناس فذبح المنتقد بحجّة أنه "زنديق".

هذه أقوال الشيخ التي أراد بها الرد على أصل الاعتراض: فالاعتراض طفولي لأن كل أحد يدرك أنه لا يمكن فقأ عين ملك الموت أو يستغرب من

ذلك، والاعتراض ليس من ابداعات المعاصر الذي يحسب نفسه شيئاً وجاء بما لم تأت به الأوائل فكيف يظن أنه جاء بأمر عجيب وانتقاد غريب لم يدركه كل الذين قرأوا البخاري ومسلم عبر القرون (وضحك الشيخ والحاضرين أمامه على عقل هذا المعترض الذي يحسب أنه جاء بما لم يدركه السابقون)،
والاعتراض أخيراً يبدو من رواية الشيخ لقصّة هارون السفّاك الذي "يحضر مجلسه العلماء" كما يقول الشيخ يبدو أنه يستحق رمي صاحبه بالزندقة وبعدها "السيف والنّطع" لذبحه لأن سنده صحيح فلا يستطيع الشيخ أن يكذّبه لأن رواته ثقات لم يجرّب عليهم الكذب ولا يستطيع أن يغلّطه لأنه ليس لديه دليل يقتضي تغليط الرواية.

فما قيمة ردود الشيخ الأربعة هذه على أصل الاعتراض بأنه: طفولي، عرفه السابقون، سنده صحيح، زندقة وذبح المعترض؟

أما قوله بأنه اعتراض {طفولي}:

أوّلاً، إن كان فعلاً طفولياً، فهذا أسوأ لكم ولصاحب هذه الرواية، فإن روايتها وقبولها بالرغم من اشتمالها على هذا الاعتراض الظاهر البسيط الذي يدركه حتى الطفل يعني أنكم قد انحططتم إلى تحت مستوى عقول الأطفال أيضاً. فهذه سُبّة لكم، وليس للمعترض.

ثانياً، الأمر أخطر من أن يكون طفولياً، لأن الاعتقاد بأن موسى رسول الله يعتدي بالضرب على ملك الموت الذي هو رسول لله أيضاً و"ما نتنزّل إلا

بأمر ربك" و "يفعلون ما يؤمرون" يعني أنه اعتداء على الله تعالى ذاته، كما أن مَن يؤذي محمد رسول الله فهو يؤذي الله "إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً"، بل "الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً" فهذا في إيذاء مؤمن ومؤمنة، فزعم أبو هريرة أن موسى اعتدى على ملك الموت لا بسبب شيء إلا أنه قال له كلمة "أجب ربك" ونحوها، فيه تعريض لموسى والعياذ بالله لكونه ملعوناً أو محتملاً لبهتان وإثم مبين على أقلّ تقدير.

ثالثاً، كما أنه في رواية "احتج آدم وموسى" والتي رواها أبو هريرة أيضاً قام أبو هريرة هناك بتغيير صورة آدم القرآني الذي ينسب الخطأ إلى نفسه ويتوب إلى ربّه "ربنا ظلمنا أنفسنا" فجعل آدم كمثل إبليس الذي يحتجّ بالقدر "رب بما أغويتني"، كذلك جاء أبو هريرة هنا بطامّة أخرى وقلب صورة موسى هذه المرّة. موسى القرآني يضاد تماماً موسى الذي اخترعه أبو هريرة هنا حسب الرواية (فالرواية في البخاري ومسلم النسائي وأحمد كلها ترجع إلى أبي هريرة فقط، وذلك في الأصول التسعة). موسى القرآني اعترض حتى على معلّمه الذي علم أن له مقاماً عالياً عند الله في العبودية والرحمة والعلم حين وجده يخرق سفينة أو يقتل نفساً زكية بغير نفس، وكذلك وكز موسى الرجل المنتمي لفرعون فقط حين استغاثه الذي من شيعته ثم حتى بعد ذلك قال موسى "هذا من عمل الشيطان" واستغفر من ذلك وقال "رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي" (ودراسة الآية تبيّن أن موسى وكز الآخر تشيّعاً وليس لأنه عرف الحق

لمن، لكن بغض النظر عن هذا نكمل) فحتى في مثل هذه الحالة القتالية كان موسى يتحرّج من الاعتداء على المنتمين إلى فرعون ذاته ولو بالدفاع مع شيعته من بني إسرائيل "إنك لغوي مبين" كما قال له حين استصرخه في المرّة الثانية، وكذلك نجد موسى يخاطب قومه الذين يؤذونه بكل لطف فيقول لهم "يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم"، ثم حتى حين "أخذ رأس أخيه يجرّه إليه" لم يفعل ذلك إلا لأنه اعتقد بأن أخيه قد عصى أمره "ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعنِ. أفعصيتَ أمري" وذلك بعد أن استخلفه للإصلاح، وهكذا حين تنظر في صورة موسى في القرءان لا تجد رجلاً عدوانياً أهوجاً كما تصوّره رواية أبي هريرة (وهذه الرواية قد تناسب النمط اليهودي في التفكير وليس النمط القرآني، وهذا أمر يستحق البحث بحد ذاته لكن لنكمل). فحين نرى موسى القرآني، ثم نرى أبو هريرة يزعم أن موسى لطم عين ملك الموت لا لشيء إلا لأنه قال له "أجب ربك"، فالاعتراض ليس طفولياً، بل عدم الاعتراض لعله كفر أو جهل عظيم، وتقديم للرواية الآحادية على القرءان، وصناعة مصدر له قدرة على خلق تصورات موازية ومتعارضة مع القرءان وهذا أهمّ وأخطر ما في هذه الرواية ونحوها كما هو الحال في رواية "احتج آدم وموسى" التي زعم فيها أبو هريرة أن نبينا محمد وآدم وموسى هم جماعة من الجبرية وضرب بعرض الجدار كل آيات الله في الموضوع.

رابعاً، حين تقرأ كتاب الله من أوله إلى آخره (كما فعلنا في كتبانا " السلطان") ستجد أكثر من ألف شاهد على أنه لا يجوز الاعتداء على إنسان

فقط بسبب كلامه ولا شيء غير كلامه. (لا تقل: حد القذف، فليس ذلك من أجل الكلام فقط بدليل أن القذف بشهود أو الرمي عند غير الحاكم حسب الآيات لا عقوبة عليه، فالعقوبة لأن الزنا عليه جلد وتترتب عليه أمور، راجع كتاب السلطان لنا لتفصيل ذلك إن شئت). لا يوجد لدينا ولا شاهد واحد على أن رسولاً لله أو عبداً صالحاً اعتدى بالضرب على أي إنسان، ولا نقول على ملك من ملائكة الله ولا نقول على ملك الموت ذاته، بل على أي إنسان ولو كان كافراً ملحداً ملعوناً آثماً فقط لأنه قال كلاماً ما. ما تفعله الرواية الخبيثة لأبي هريرة، ولو لاشعورياً، هي فتح مجال لقبول تعرض مخلوق للضرب فقط بسبب كلامه. فإن ملك الموت لم يفعل قبل أن يتعرض للضرب أكثر من أن بلغ موسى رسالة من ربه وهي "أجب ربك". فالرسالة الضمنية هي: إذا كان يجوز لموسى أن يفقأ عين ملك الموت المبعوث بإذن وأمر الله تعالى فقط من أجل أنه قال له كلمة "أجب ربك"، فأين الغرابة بعد ذلك أن تجد الطاغين من الحكام مثلاً حين يفقأون عين بل يضربون أعناق مَن يقول لهم ولو كلمة مثل "اتق الله" (كما هدد أحد طغاة الأمويين، أولياء نعمة أبي هريرة في الدنيا). العدوان على الأشخاص بسبب الكلام جائز حسب هذه الرواية، فموسى فعله مع ملك الموت، والله تعالى حسب الرواية لم يعاقب موسى بأي شيء بل ولا بكلمة واحدة بل حسب الرواية قد كافأه على ما يبدو على اعتراضه على ملك الموت وسمح له بالإكمال في الحياة بقدر عدد شعرات الثور التي يضع عليها يده ضاربين بعرض الجدار طبعاً فكرة "ولن يؤخر الله نفساً إذا

جاء أجلها"، وبالتأكيد ستجد التكلّفات الباردة لتحوير القرءان ليوافق رواية أبي هريرة بدلاً من ردّ رواية أبي هريرة في وجهه وترك القرءان كريماً متبوعاً لا تابعاً. فإذا كان أجل موسى قد جاء، فلا يؤخَّر. وإذا كان أجل موسى لم يجئ، فملك الموت كاذب إذن أم ماذا؟ وإن قالوا: أرسله إلى موسى للابتلاء، نقول: الابتلاء بماذا بالضبط؟ من أين جئتم بهذه الفكرة وكتاب الله بين أيدينا لا نجد فيه الموت يقع فيه مثل ذلك بل هو أجل مسمى ليس فيه هذه الأمور. وحتى إن فرضنا جدلاً أن أمر الموت يمكن أن يتقدم ويتأخر، فأين في كتاب الله أن رسل الله يضربون رسل الله على قيامهم بأمر الله ؟ أين في كتاب الله أن أحداً يجرؤ أصلاً أن يتعامل مع الملائكة بهذه الطريقة من رسل الله، الصنف الوحيد الذي تجرأ على أن يهمّ بشيء من ذلك عن جهل بحقيقة الرسل هم قوم لوط والذين تعلمون ما فُعل بهم. أبو هريرة هنا يزعم أن موسى كليم الله والذي يعلم أن مَن جاءه هو ملك الموت رسول الله عن إذن وأمر الله، قام بلطمه بعد قوله له "أجب ربك". هذا ليس اعتراضاً "عقلياً" ولا " طفولياً"، هذا اعتراض عند مَن يفقه المقصود منه الحفاظ على الإيمان بالله وكتابه ورسله طاهراً ونظيفاً من هذه الرعونات التي لا تصدر إلا عن جاهل بأمر الملائكة الكرام ولا يتجرأ على رواية هذه الألفاظ عنهم إلا مَن لا يوقّرون رسل الله. الاعتراض إذن خطير وإيماني، وله أبعاد غير مجرّد التصوير السخيف للشيخ لها على أنها مجرد مسألة تفسير كيف يمكن لطم عين ملك الموت وهو كائن من نور وكأن هذا أكبر اعتراض على الرواية.

خامساً، زعمت الرواية أن ملك الموت ما رجعِ إلى ربّه قال لربه {إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت} أقول: صفة مَن هذه؟ مَن في كتاب الله {لا يريد الموت}؟ هل تجدهم في كتاب الله إلا الظالمين أو ضعاف الإيمان. كشأن الذين هادوا والذين أشركوا الذين "يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة". أنا أعرف أناس الآن ليس لديهم ذرّة من الإيمان الذي يكون في شعرة من شعرات موسى، وهم يتمّنون الموت. فيزعم الرواي الأفّا أن موسى نفسه لا يريد الموت. والأسوأ ما جاء بعد ذلك فيها. فإنه يزعم أن الله خيّر موسى بين الحياة بعدد شعرات ثور يضع عليه يده وبين الموت الآن فقال موسى أنه يريد الموت الآن لكن على رمية حجر من الأرض المقدسة. هذا أسوأ. وكأن موسى لم يكن يعلم قبل أن يلطم عين ملك الموت بزعمهم أن الموت حتم على كل نفس، فيريد هؤلاء الجهلة الاعتقاد بأن الصبي اليوم من المسلمين الذي يقرأ "كل نفس ذائقة الموت" بل والملاحدة الذين يعرفون أن كل إنسان سيموت يعلمون ما لم يعلمه موسى ولم يكتشفه إلا بعد أن اعتدى على ملك الموت ! وكأن موسى القرآني الذي سمع من الله من أول يوم {إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى} لم يكن يعرف أن الموت حتم على الكل. شيء مقزز بل كفر بواح وجرأة على الله ورسله.

سادساً، حتى لا يأتي متكلّف ويحاول أن يخصف على عورة رواية أبي هريرة شيئاً، الرواية قالت أن ملك الموت فقد فُقئت عينه ورجع إلى ربّه واشتكى له فقال {إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني} إذن

كانت عينه فعلاً، فيقول الراوي {فردّ الله إليه عينه} فالذين يزعمون بأن الرواية لا تدل على أن عينه فعلاً قد انفقأت وما شابه من لف ودوران من الأحسن لهم أن يغيّروا أسلوبهم فإنه لا يضرّ إلا بعقولهم وأديانهم وعقول المسلمين معهم.

هذا بالنسبة لقول الشيخ أن الاعتراض {طفولي}. والشيء الوحيد الطفولي هنا هو كيفية نظرة الشيخ للاعتراض بل للرواية ذاتها وأبعادها ومضامينها وأهمّيتها الدينية وأهمّ شيء علاقتها بكتاب الله.

أما عن قول الشيخ أن الاعتراض {عرفه السابقون}:

طيب، ثم ماذا؟ عرفه السابقون، كما يعرف اليهود اعتراضات المسلمين على كتبهم وعقائدهم، وكما يعرف الشيعة اعتراض السنّيون على عقائدهم وأعمالهم، وكما يعرف كل واحد ما قيل في دينه ونصوصه وشؤونه، فهل هذا يعني أنه لا قيمة لذكر هذه الاعتراضات اليوم فقط بحجّة أنها ذُكرت بالأمس وكأن مجرّد ذكرها بالأمس يدل على أن السابقين قد أجابوا عليها جواباً شافياً.

الشيخ يوهم هنا أن مجرّد معرفة السابقين ممن قرأ هذه الرواية في البخاري ومسلم يدل على أنه لديهم عليه جواباً شافياً كافياً يردّ كل الاعتراضات "الطفولية" التي يأتي بها الناس اليوم. بنفس هذا الأسلوب، يستطيع كل صاحب ملّة وعقيدة أن يطمئن اليوم لما عنده من نصوص وعقائد وأعمال فقط بحجّة أن كبار علماء طائفته قد اطلع على الاعتراضات ذاتها منذ قديم

الزمان ورفضوها مما يدل تلقائياً-حسب الفرض-أنه لديهم عليها جواباً تاماً مقنعاً. وكأن السلف لا يتعصّبون، ولا يجهلون، ولا يتكلّفون، ولا يتمسّكون بالشيء حتى إن لم تكن لهم عليه حجّة كافية، وكأن وكأن وكأن مجرّد مرور الشيء عبر قنطرة سلف الطائفة والفرقة كافٍ لإثبات حقانيته وصلاحيته.

منذ أكثر من ألف سنة والفرقة السنّية وغيرها يردون على الإمامية المنتظرة للمهدي الغائب ويسخرون منهم ومن سرداب مهديهم الذي اختفى فيه.

الإمامية يعرفون هذه الردود والسخرية من ذلك اليوم إلى يومنا هذا. علماؤهم قد نظروا في هذه الحجج وألّفوا فيها الكتب وأثبتوها وردّوا عليها. وبقوا على مذهبهم في هذه المسألة بل وعاشوا وقُتلوا من أجله ولم يبالوا. فهل هذه حجّة كافية للشيخ وأشباهه لقبول عقيدة الإمامية في المهدي الغائب في السرداب حسب قولهم وسخريتهم؟ أم يمكن إعادة نفس الانتقاد اليوم وإظهاره وإشاعته وتكراره أيضاً، ويجوز اعتبار أجوبة الإمامية على نفس الاعتراض الذي أجابوا عليه من قبل بعد أن عرفوه وأثبتوه وذكروه مراراً وتكراراً هي أجوبة غير كافية ولا تردّ الاعتراض وقوّته وجوهره. تستطيع أن تكرر نفس هذه الحجّة في جميع الملل والنحل والفرق والمذاهب.

بل لماذا نذهب إلى الفرق. انظر في المذاهب الفقهية السنّية ذاتها، والشيخ على ما أحسب مالكي المذهب كعادة أهل شمال إفريقية والمغرب، ففقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة يعرفون حجج المالكية في الفقه منذ أكثر من عشرة قرون، وكل مذهب يعيد نفس الحجج ويعرف اعتراضات خصومه ويدرسها

ويثبتها ومع ذلك بقي الحنفي حنفياً والشافعي شافعياً ولم يبالوا بردود المالكية عموماً على مسائلهم حتى بعد أن عرفوا وجه أدلّتهم واعتراضاتهم على آرائهم. وكل مذهب يعيد اليوم الاعتراضات ذاتها ويذكر نفس الحجج عموماً ويرضى بفتوى مذهبه الفقهي. عرف السابقون من الأحناف والشوافع اعتراضات المالكية، وعرف المالكية اعتراض الأحناف والشوافع، منذ القدم، ومع ذلك بقي كل واحد متمسكاً بمذهبه ولم يدمجوا المذاهب ببعضها البعض ولم يتخلوا عن تلك الاعتراضات.

كذلك الحال تماماً هنا. معرفة السابقين للاعتراضات لا يعني بطلان الاعتراضات أو أن عليها أجوبة كافية لإقناع صاحب الاعتراض بترك اعتراضه. هذه مغالطة شنيعة من الشيخ وتلبيس على تلاميذه ومَن يضحك معه الضحكة السمجة التي كان من الأولى أن يضحكوها على أنفسهم بدلاً من الضحك على المعترض على الرواية المختلف معهم.

أما قوله {سنده صحيح}:

فالشيخ يقول بأن السند الصحيح للرواية يمنعه من تكذيبها، ولا يستطيع أن يعتقد بوجوب غلط في الرواية لأنه حسب قوله لا دليل له على ذلك. فالشيخ يغالط هنا، يغالط نفسه أظن قبل أن ينشر الغلط ويضلّ به غيره، من الجهتين.

فمن جهة، حتى إن فرضنا جدلاً أن السند صحيح، أيا كان معنى ذلك ومعيار الشيخ في تصحيح الأسانيد، فهذا لا يعني صحة الرواية. ويقيناً الشيخ

يعرف أن تصحيح السند لا يعني بالضرورة تصحيح الرواية، إذ قد لا تصح لشذوذ أو لعلّة. ولا أريد أن أهين عقل الشيخ بتذكيره بما يقرأه أصحاب فن الحديث حتى في المختصرات مثل اختصار علوم الحديث لابن كثير الذي يقول فيه "والحكم بالصحة أو الحسن على الإسناد لا يلزم منه الحكم بذلك على المتن إذ قد يكون شاذّاً أو مُعللا". العبرة من الحديث هو المتن وهو محلّ العلم والحكم، وأما السند فمجرّد طريق لنقله، فقد يكون السند ضعيفاً والمتن حقاً مبيناً، بل قد يكون السند كله من الكذابين ومع ذلك إذا نظرنا في "ما قيل" وليس "مَن قال" قد نجده مفيداً بل مهماً جداً على أكثر من مستوى. فليكن السند ما يكون، إذا نظرنا في المتن ووجدنا فيه طوام ومصائب، فكيف لا يجوز ردّه ورفضه عند مَن يؤمن بأن {الحق أحقّ أن يُتَّبع}.

ومن جهة أخرى، توجد أدلة كثيرة قد ذكرنا أهمها على تغليط هذه الرواية بسبب ما في متنها من منكرات بل كفريات وسخافات. ولا أقلّ عليهم أن يقولوا: نحن نرفض هذه المعاني التي تدل عليها الرواية لكننا نأخذ منها معاني أخرى صالحة مثل كذا وكذا وكذا وعليهم تعداد ما يستفيدونه منها. أنا شخصياً لا أدري ما الفائدة العلمية أو العملية أو الأخلاقية التي يستفيدها هؤلاء من مثل هذه الرواية، لكن أعرف المضار والكفريات التي فيها وقد أشرت إلى أهم ما رأيته فيها. فعليهم أن يأتوا بالمنفعة منها والدلالة التي من أجلها يحافظون على تصديقها.

الشيخ أدرى بما في كتب الحديث الأخرى، لكن في الأصول التسعة هذه الرواية مروية فقط عن أبي هريرة، فمن بين أكثر من مائة ألف صحابي لم يسمع أحد هذا الحديث الغريب المنكر من النبي حسب زعمه إلا هذا الدوسي الذي أسلم قبل بضعة سنوات من وفاة النبي وفي آخر عهده حين تكاثر الناس حوله صلى الله عليه وآله وسلم. عليه أيضاً أن يفسّر لنا سرّ هذه الظاهرة العجيبة، وأعاجيب صاحب الهرّة كثيرة في هذا الباب.

أخيراً، الطامّة الكبرى، استشهاده بقصّة {هارون والزنديق}:

بدءاً، على الشيخ أن يقرأ قوله تعالى {قل قد جاء كم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين} وليرجع إلى تفاسيره إن شاء. لماذا قال الله لقوم في زمن النبي {فلم قتلتموهم} فنسب القتل لهم بالرغم من قوله {رسل من قبلي}؟ سيقولون: لأنهم رضوا بعمل آبائهم الذين قتلوا الرسل فكانوا برضاهم مشاركين لهم في القتل. وهذا معنى حق. لأن الرضا بالفعل كالفعل يوم الحساب، نسأل الله السلامة والوعي والحفظ من الغفلة.

الآن، حين يأتي الشيخ ويروي قصّة السفّاك الطاغية هارون الذي بدلاً من أن يجيب هو أو أحد من "العلماء" الذين في مجلسه كما اعترف الشيخ، على الانتقاد المعقول العادي والذي يوجد أشدّ منه حتى في كتب العلماء أنفسهم، بدلاً من ذلك رماه بالزندقة ثم أمر بالسيف والنطع فذبحه. فأسأل الشيخ: ألا

تتقون الله؟ ألا تخاف الله على نفسك؟ لماذا تُهلك نفسك بجعل هذا الدم الحرام والمسفوك ظلماً وعدواناً بحكاية هذه القصّة والموافقة على مضمونها؟

لكن لا تستغرب من تعريض هذا الشيخ نفسه للهلكة برواية هذه القصص التي ينبغي أن يخجل منها الواحد بدلاً من التفاخر بها والاستدلال بها، فإن هذا الصنف من السفه شائع في هذه الفرقة بل في الأمّة، يروون عن السابقين من الظالمين مظالم تقشعر لها جلود الذين يخشون ربهم ويعرفون معنى الحق والعدل، ويحسبونه هيّنا وهو عند الله عظيم.

بالمناسبة : العباسيون دولة شيعية، والعباسية تحديداً هم فرع من الكيسانية التي قالت بإمامة محمد بن الحنفية ومن بعده ابنه ومن بعد ذلك ادعوا أن الوصية انتقلت منه إلى بني العباس ثم صارت في ملوك العباسية. نعم قد اعتاد الناس على اعتبار الدولة العباسية دولة سنّية، والحق أن والد هارون هذا الملقّب بالمهدي زوراً كان ممن يعتقد بأن الخلافة أصلاً حق للعباس عم النبي وأن كل من أخذها فهو مغتصب وحمل من معه على هذا الاعتقاد كما يذكر النوبختي في فرق الشيعة مثلاً. لا تسمع مثل هذا عادةً من شيوخ السنّة الذين يعتبرون العباسية من أبناء فرقتهم ودولتهم تمثّل التسنن. وأما ما حدث لاحقاً من دخول شيوخ المرجئة أي السنّة والجماعة ومن تبعهم في تبعيتهم للدولة العباسية فإنما هو لأنهم يقولون بولاية كل بر وفاجر ويتبعون كل متغلب ونحو ذلك، وإلا فمالك بن أنس ضُرب (رأس مذهب هذا الشيخ المفتخر بسفك هارون العباسي للدماء المحرمة) من أجل فتواه المبيحة للخروج على العباسيين،

وكذلك النعمان صاحب الحنفية مات في السجن لأنه رفض العمل لهم كقاضٍ وكذلك يروى أنه موّل ثورة مضادة للعباسيين وأمر البعض بالمشاركة فيها، وعلى هذا النمط لكن هذا يُتناسى ولا يظهرونه للعامّة من أتباعهم ويؤكدون عليه. فالشيخ بروايته وموافقته على ذبح المنتقد للرواية قد جعل في عنقه دماء المقتولين من أجل الكلام وهي دماء محرمة في كتاب الله وعند كل عاقل عادل لا يجازي السيئة إلا بمثلها وإن كانت الكلمة سيئة فمثلها كلمة تردّ عليها وليس ذبح صاحبها إلا عند الظالمين خلف فرعون اللعين الذي يذبّح ويُقتّل ويصلّب من أجل الإيمان والبيان والأديان.

هذا بالنسبة للصنف الأول من كلام الشيخ المتعلّق بجزاء الاعتراض على الرواية الصحيحة وكيفية النظر لصاحبها وتقييم اعتراضه.

الصنف الثاني: العقل وحدوده.

هنا نجد الشقّ الثاني لأمراض أمّتنا، وهو موقفها من العقل حين ينظر في الدين ونصوصه وشؤونه. مدار كلام الشيخ يدور على أربعة أمور. فقد أقرّ أوّلاً بأن لكل شيء تفسير منطقي، فهذا الجزء له وقد أحسن وألزم نفسه والحمد لله. لكن بعد ذلك جاء بثلاثة أمور تفسد عليه الأصل النوراني الذي أصّله، وهي

التي سننظر فيها هنا إن شاء الله. الأمر الأول، الاعتراف بالعجز. الأمر الثاني، تمييز أحكام العقل. الأمر الثالث، الاعتقاد بمحدودية العقل.

أما الأول، فالاعتراف بالعجز.

قال الشيخ مخاطباً المعترض على مروياته بحجّة العقل، ما حاصله: قد لا أعرف أنا التفسير المنطقي للرواية فلا تلزمني بردّها. على أساس أن الله تعالى قد يعلّم إنساناً غيره التفسير المنطقي للاعتراضات عليها.

أقول: رحم الله امرئ عرف قدر نفسه، وتواضع للحق، فرحم الله الشيخ بسبب هذا الموقف. إلا أن موقفه هذا نصف الواجب. نعم، مَن لا يعرف التفسير المنطقي لشيء في الدين قد يعترف بذلك ويقول غيري أدرى، إلا أن النصف الآخر هو أن يقول: هذا الوجه من الاعتراض على الرواية أنا أعرف منطقياً أنه لا يصح، فالشيخ ضمناً قد اعترف بأنه أمام مشكلة منطقية بقوله ابتداءً أن لكل شيء تفسير منطقي ثم قوله بأنه لا يعرف التفسير المنطقي لهذه الرواية تحديداً، مما يدل على اعترافه بأنها مخالفة للمنطق والحق أنها مخالفة للقرءان وأمور كثيرة غير مجرد المنطق التجريدي. هذا أوّلاً.

ثانياً، الشيخ متصدّر لتعليم الدين، وهو ليس شاباً ضعيف التحصيل حتى يحتجّ بمثل هذه الحجّة العاجزة، لأن المفروض وحسب ضحكته السابقة على صاحب الاعتراض "الطفولي" أنه قد قرأ ردود السابقين على هذه الاعتراضات، فإذا كان قد اقتنع بها وعرف وجهها الحق وتفسيرها المنطقي

فليأتي به وينهي المسألة بدلاً من كل هذا اللف والدوران في الفراغ بل الاستغراق في السيئات التي جاء بها ولا يزال ما هو أسوأ سيأتي به ونذكره بعد قليل إن شاء الله. إلا أن يقول الشيخ: قد قرأت ما كتبه الشرّاح ونقله لي شيوخي عن شيوخهم في البخاري ومسلم عبر القرون المتطاولة ولا يوجد أحد منهم عرف الردود المعتبرة على تلك الاعتراضات. فحينها نقول للشيخ: فهل أنت الفلتة الذي سيأتي بما لم تأتي به الأوائل؟ أو هل يجب أن ننتظر عشرة قرون أخرى قبل ردّ رواية أبي هريرة لنرى إن كان الله تعالى سيبعث مَن يحلّ معضلاتها ويفسّر مشكلاتها؟ فهل كان العلماء يستسقون غيث الجواب عن هذه الرواية كل هذه القرون فحُرموا الحلّ بالعقل، وعلى الأمّة أن تقتل عقولها من أجل خاطر أبي هريرة أو أي رواية أخرى؟

ثالثاً، ماذا لو جلس الشيخ مع شيعي أو مسيحي أو ملحد وبدأ الشيخ يردّ على عقائده ونصوصه ودعوته. ثم بعد التفكير قال له الشيعي أو المسيحي أو الملحد: يا شيخ اعتراضك هذا قد قاله قبلك لمن هو قبلي وأنا لا أملك تفسيراً منطقياً أردّ به على اعتراضاتك هذه لكن لا تلزمني بردّ ما بيدي الآن لأنه لعل الله أو المسيح أو (لا أدري، الطبيعة؟) تمدّ غيري بالحلّ العقلاني، فلذلك سأبقى أنا متمسكاً بما أنا عليه إلى ذلك الأجل غير المسمّى. هل سيقبل الشيخ هذا منه أم سيعتبره معانداً؟ لا داعي للتخمين، فقد رأينا رأي الشيخ حين حكى قصّة السفاك العباسي الذي لم يصبر دقائق حتى أمر بالسيف والنطع لذبح صاحب الانتقاد البسيط. فكأن الجواب الحقيقي للشيخ هو: نحن الآن

سنسكت على هذه الاعتراضات لكن آخ بس لو بأيدينا سيف ونطع حتى نجيب على هذه الاعتراضات على روايتنا الصحيحة بما يستحقه أصحابها حقاً !

أما الأمر الثاني، فتمييز أحكام العقل.

يقول الشيخ ما حاصله واللفظ لي: أحكام العقل ثلاثة وهي الوجوب والإمكان والاستحالة. بما أن لطم موسى عين ملك الموت داخل ليس واجباً للوجود حتى نقطع بحصوله ولا مستحيل الوجود حتى نقطع باستحالته، بل هو ممكن الوجود، بالتالي يحق لنا التوقف في ذلك.

فبعد أن اعترف بالعجز عن الإجابة المنطقية على الاعتراضات، لم يعجبه (المشايخ التقليديين هكذا عادةً) لم يعجبه المكث في ظلام العجز والفراغ بل لابد له من تبرير أو ترقيع ما يستطيع ترقيعه، فانتقل إلى مرحلة الإمكان العقلي المجرّد. هل يوجد تناقض منطقي تجريدي في تصور لطم موسى ملك الموت؟ يقول: لا. بالتالي هي داخلة في حيّز الإمكان على أقلّ تقدير.

الردّ على هذه السفسطة الدينية، وهي مزيج من جهل الديانة مع رقاعة المتفلسفة بغير فلسفة، هو التالي:

أ-الشيخ نفسه حين ذكر صحّة سند الرواية قال ما معناه أن رجالها ثقات لم يجرّب عليهم الكذب، وأما النبي نفسه فإنه لو قيل بأنه يستحيل عقلاً الكذب عليه لما كان بعيداً، أو عبارة نحوها. وأقول: لماذا؟ إن كنّا سنتكلّم بلغة الإمكان العقلي المجرّد، فكذب النبي والأنبياء بل والملائكة بل والعياذ بالله حتى الإله

تعالى أمر متصوّر. بل نستطيع أن نعزز هذا بنصوص دينية أيضاً تثبت الإمكان العقلي المجرّد، بدليل أن القرءان ردّ على هذه الأمور، ولو كانت مستحيلة بداهةً لما طرأت على عقل إنسان أصلاً أو لما احتاجت إلى ردود مفصّلة في القرءان. فقال مثلاً {يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك} وقال {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} وقال {لو تقوّل علينا بعض الأقاويل} وقال {بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} وغيرها كثير يمكن أن يأخذ منه الإنسان الإمكان ولو بالاحتمال العقلي المجرّد مهما تناهى ضعفه إمكان الكذب أو إبداء غير ما خفي أو خشية الناس خشية تؤدي إلى تغيير الرسالة أو عدم تبليغها. وأما بالنسبة للملائكة فقالت الآية "ومَن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم" وعلى القول المشهور ذكر هاروت وماروت "يعلّمان الناس السحر" وقولهم للناس "إنما نحن فتنة فلا تكفر". وأما بالنسبة للإله تعالى، فقد يأخذ البعض قوله "ومكر الله" و "إذ يريكموهم إذ التقيم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً" وقبلها "إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم" ويأخذ منها احتمال إراءة غير الواقع باعتبار ما لمقصد حسن ما. فمن أراد أن يلعب لعبة الإمكان العقلي المجرّد، فلا شيء يحدّه.

ب-الإمكان الواقعي هو مدار النظر العقلي السليم والصحيح. فنحن لا نعيش في سماء العقل المجرّد المطلقة العدمية، نحن نحيا في الوجود المحكوم

بأمور محددة، وفيه إمكانات محددة واقعاً، واعتبار النظر العقلي مقصور على الإطلاقات العدمية هو نوع من الجهل بالعقل والسخرية به وهو شأن جهلة المُقلّدة لظواهر النصوص من كل الملل عادةً. نعم بحسب الإمكان العقلي المجرّد قد يتحوّل الشخص أمامك إلى تنين له تسعمائة جناح، وقد تسقط الطائرة وتحوّل إلى سلحفاة في طرفة عين، وقد يُبعث النبي من قبره الآن ومعه تسعة عشر توأماً له يوزعهم على أقطار الأرض يفتون الناس بحقائق الدين ويخرجون الأمّة من غمّ هؤلاء المشايخ الجاهلين المعاندين، هذا وغيره كله إمكانات عقلية بالمعنى المجرّد المطلق العدمي بالنظر إلى الواقع، لكن لا يوجد إنسان مفكّر جادّ أو حتى ما فوق حد الجنون ببضعة أشبار يمكن أن يفكّر على هذا النحو. وكون الشيخ يناقش على هذا المستوى يدلّنا على مدى الاستهزاء الذي يقوم به بحق الناس أو لعله يقوم بذلك بحق نفسه وهو لا يشعر ويحسب أنه على شيء "انظر كيف كذبوا على أنفسهم".

ج-القرءان، وهو المهجور الأكبر في هذا البحث كله والذي لم يذكره الشيخ في ردوده المنقولة هنا، قد رسم للعقول صورة عن الأمور الإلهية والملائكية والكتب والرسل والصالحين والحق والباطل وما شابه، "نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء" وذكر أنه هدى ورحمة ونور وشفاء وبقية الأسماء الحقيقية للقرءان. حين ترجع إلى القرءان، وإن كان عقلك متشكلاً بالرؤية القرءآنية، هل تستطيع أن تعتبر ما فعله موسى مع ملك الموت أمراً "ممكناً عقلاً"؟ هذا هو السؤال الحقيقي بالنسبة للمسلمين. والكلام هنا عن مسلمين

ومع مسلمين. نعم، إن كان خطابنا مع غير المسلم فذلك أمر آخر. لكنه هنا مع المسلمين. بالتالي كتاب الله يبيّن ما هو الواجب والممكن والمستحيل عقلاً بحسب العقل الإيماني القرآني. فمثلاً، هل يمكن أن يكذب الله تعالى؟ الجواب لا بدليل "ومَن أصدق من الله حديثاً". هل يمكن أن يُغلَب رسل الله؟ الجواب لا بدليل "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي". هل يمكن أن تعصي الملائكة الله؟ بالعقل الإمكاني التجريدي نعم يمكن، لكن بحسب العقل الإمكاني الإيماني فلا بدليل "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون". وهكذا. لا يوجد أصلاً إنسان في الواقع يحيا بالعقل التجريدي المطلق العدمي. حين يسمع حتى الملحد عن حادثة بشعة وقبيحة جداً، لنقل اغتصاب شيخ لسبعين طفلاً من أولاده ثم وضعهم في فرن وهم أحياء ثم أكلهم، فلا أحد يقول "هذا ممكن عقلاً فلا غرابة" بل يقولون "هذا غير ممكن، هل هذا الخبر صحيح؟ " فمن العبث الكلام على مستوى العقل التجريدي فقط خصوصاً مع المؤمنين. كذلك الحال هنا. هل من الممكن عقلاً أن يلطم موسى عين ملك الموت لأنه قال له "أجب ربك"؟ الجواب: غير ممكن عقلاً. لأننا آمنّا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وعرفنا أموراً من كتابه وكُشفت لنا حقائق الوجود الواقعي لهذه المخلوقات وأخلاقها، فلا يمكن أن يحدث ذلك، هو غير ممكن في الواقع.

د-أما إن أراد الشيخ التوقف في كل خبر أو فكرة وأن لا يردّها بسبب كونها ممكنة عقلاً بالعقل التجريدي. فلماذا يذهب بعيداً: هل يمكن عقلاً أن يكذب سيدنا محمد بأنه تلقى الوحي؟ نعم. هل يمكن أن القرءآن الذي بلغنا من

كتابة سلمان الفارسي بمشاركة بحيرا وورقة بن نوفل مع بلعام بن باعورا الذي بعثه الله فقط للمشاركة بكتابة القرءان فبعثه وهو راكب على فيل زهري اللون يطير على بالونة مكتوب عليها "تعساً لأمّة يحكمها شيوخ التقاليد الروائية" بقلم من زمرّد هبط من جنّة عدن الكامنة في كوكب المريخ؟ نعم هذا ممكن عقلاً أيضاً ولا يوجد أي تناقض منطقي بالذهن التجريدي في هذا التصور. وهلمّ جراً. فلماذا لا يتوقف الشيخ في كل هذه العقائد وغيرها، وإن شاء أستطيع بمشيئة الله اختراع غيرها إن أحب. لماذا يثق بأي شيء وبأي حكم وبأي نقل وبأي فكرة، وحتى لماذا لا نجده مرتعباً من إمكان سقوط سقف المسجد عليه ونزول صاعقة وحجارة من السماء على رأسه وهو يلقي هذه الكلمة وهو أمر ممكن عقلاً أيضاً كما تعلمون.

هـ-نقطة أخيرة: يوجد تناقض منطقي أيضاً إن شئنا النظر جدّياً. فإن الرواية تشير إلى موسى وهو بشر له جسم، وملك الموت مخلوق من نور فلا يمكن أن يؤذى أصلاً بواسطة جسم، لأن الكثيف لا يؤثر في اللطيف بهذا النحو، كما أن الحجرة لا تستطيع أن تؤذي الهواء وكلاهما في عالَم الطبيعة المادي، فكذلك من باب أولى عقلاً أن يستطيع كائن بشري أن يؤثر في كائن ملائكي عالي. هذا فقط لمن يريد التفكير قليلاً حتى على هذا المستوى. طبعاً لا يخفى أن الشيخ لم يذكر ولم يفكّر ويعرض شيئاً مما سبق ولم يخطر بباله على ما يبدو، وليس هذا غريباً لأنه كان مشغولاً بتلطيخ دمه بدماء المنتقد المسكين في مجلس العباسي اللعين.

الأمر الثالث، الاعتقاد بمحدودية العقل.

هذه المسألة وحدها كافية لإظهار مدى سوء حال هذا الصنف من المشايخ، ولو لم يوجد إلا هي لكفت في إنشاء هذه المقالة للردّ عليه.

قال الشيخ ما حاصله، وهو يتكلّم بجرأة وثقة عجيبة وكأنه ينطق بحقائق لم ينطق بمثلها الشيخ الأكبر ابن عربي من قبل كشفاً وذوقاً، قال ما خلاصته: العقل له حدّ كما أن للحواس حدّ، والدين فيه أمور ما فوق إدراك العقل، ووجود هذه الغيبيات لازم من أجل القيام بالتسليم المأمور به شرعاً. فالعين لها حدّ لا تبصر بعده، والأذن لها حد، والقدرة على حمل الأشياء باليدين أيضاً محدودة، هذه الأمثلة الثلاثة ذكرها الشيخ، أقصد مثال حدّ العين والأذن والحمل. ماذا يريد من هذا؟ يريد أن يقول أن لطم موسى ملك الموت عليهما السلام وحاشاهما، داخل ضمن الغيبيات والأمور التي تتجاوز حدّ العقل في إدراكها ويجب التسليم لها على أساس أن العقل محدود مثل الحواس. فما هو الردّ على هذا اللغو الخطير جداً والذي إذا حللنا مصائب أمّتنا العلمية والدينية سنجدها ترجع إلى جذور أحدها بل أكبرها هذا الجذر البغيض الذي ما زال شيوخ الجهل يرددونه على مرّ القرون؟ بسم الله.

أ-قبل أي شيء، لاحظ التناقض الواضح-التناقض العقلي المجرّد أيضاً-ما بين قول الشيخ من قبل بأن لكل شيء تفسير منطقي قد لا يعلمه هو لكن يعلّمه الله غيره من العلماء، وبين قوله هنا أنه توجد في الدين أمور ما فوق

إدراك العقل هي من الغيبيات التي يجب التسليم بها يقصد من باب التديّن والتعبّد ويشير إلى قوله تعالى "ويسلّموا تسليماً". فإذا كان لكل شيء تفسير منطقي، والتفسير المنطقي ضمن إدراك العقل، فكيف يكون ثمّة شيء في الدين ما فوق إدراك العقل ويجب التسليم به بدون تعقّل خاص له؟ حلّها يا فالح بالعقل التجريدي إن استطعت، ولن تستطيع.

ب-يريد الشيخ قياس العقل على الحواس، فكما أن الحواس محدودة فالعقل أيضاً محدود. حسناً. لنقبل قياسه مبدئياً. لكن بناء على ذلك، والشيخ يعلم، أن الشريعة لا تُكلّف إنساناً أن يقوم بحواسّه بأمر لا تطيقه حواسّه، فليس من العصيان أن لا ترى ما فوق الأشعة البنفسجية أو تحت الأشعة الحمراء أو ما شابه، كذلك لا يوجد تكليف للأصمّ بسماع القرءان مثلاً، وكذلك لا شرعاً ولا عرفاً يمكن اعتبار الصبي عاصياً إن لم يستطع أن يحمل على ظهره عشرة أطنان من الحديد لأنها فوق قدرته على الحمل، قال الله "لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها" و"لا يكلّف الله نفساً إلا ما آتاها". فإذا كان في الدين أمر ما فوق العقل، فليس على العقل قبوله والتسليم به وهو غير مكلّف به. كما أنه إذا كان في الدين أمر ما فوق قدرة الحواس، أو حواس بعض الناس، فهؤلاء غير مكلّفين بإقامة ذلك التكليف. فحيث أن "تكليف" العقل هو الإيمان والاعتقاد بالشيء، فلا يمكن أن يُعرَض عليه شيء يتجاوز حدّه ويؤمَر مع ذلك بالإيمان به.

ج-العقل الذي يستطيع أن يعلم أنه {لا إله إلا الله}، ويعلم يقيناً أمر الآخرة {وهم بالآخرة هم يوقنون}، لا يمكن أن يقال بأنه لا يستطيع أن يعقل لطم موسى ملك الموت ! ولا ما دون ذلك ولا ما فوق ذلك.

د-نعم، في مختلف الملل، مال كهنة وشيوخ إلى تحقير العقل أو تحديده لأنهم رأوا ذلك ضرورياً لحماية نصوصهم وتقاليدهم ومنع إزعاج العامّة وخصوصاً المفكّرين منهم لهم، فاختصروا على أنفسهم الدنية الطريق وطعنوا في العقل. ويكفيك من الطعن في العقل أنك ترى هذا الشيخ يقيس العقل على الحواس، وأي قياس أفسد من هذا، وهو قياس بعقله الذي أساء استعماله طبعاً وإن كان قد أحسن من حيث أن العقل يمكن استعماله لأغراض ماكرة وخبيثة أيضاً. لكن يكفي لردّ أصل فكرتهم كونهم من جهة يقرّون بأن العقل يمكن أن يعلم الأمور الإلهية وأمر النبوة والمعاد والآخرة وما شاكل، ويعتبرون العقل داعية ذلك، وأنّى لهم غير ذلك والدين كله يبطل بدون العقل، ثم حين يجدون في تقاليدهم أمور غير معقولة فبدلاً من الطعن في تقاليدهم أو ردّها يردّون على عقولهم، ومثل هؤلاء كمثل عطشان ورث بئر ماء من والده وكانوا يلقون في البئر أنواع من الأوساخ والقاذورات فلمّا نظر في البئر فوجد نجسة فبدلاً من انتقاد البئر وتطهيرها قام بالطعن في ذوقه ولسانه وحواسه.

هـ-قرآنياً، أصل نزول القرءان هو من أجل العقل، والغاية من تطور الإنسان هو العقل. فقال في الأولى {إنا أنزلناه قرءاناً عربياً لعلكم تعقلون}،

وقال في الأخرى {هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم مَن يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّى ولعلكم تعقلون}. ثم من أهمّ ما سيدور عليه أمر الآخرة هو العلم، {فسوف يعلمون} {كلا سوف تعلمون} {أليس هذا بالحق قالوا بلى}. ولا يوجد في كتاب الله انتقاد لملّة وعقيدة إلا بحجّة مخالفتها العقل والعلم، مثل قوله في أصحاب الولد {ما لهم به من علم ولا لآبائهم}، ومثل قول إبراهيم للمشركين {أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون}.

و-ما أكثر مجادلات القرءان للمشركين، مثل قوله في الأنعام، {نبئوني بعلم} وما شاكل، فيا حسرة المشركين لو كان عندهم أمثال هؤلاء المشايخ الإسلاميين التقليديين لردّوا على النبي وقرآنه بكلمة واحدة بل ولردّوا على إبراهيم وكل المرسلين: يا محمد في الدين أمور فوق إدراك العقل فلماذا تجادلنا وتكثر جدالنا؟ يا محمد المراء والجدال في الدين عندنا ممنوع وسنعزّرك ونأتي بالسيف والنطع إن انتقدت ديننا وسفّهت أحلامنا وآباءنا وكلامنا، يا محمد لكل شيء تفسير منطقي في ديننا لكننا نحن لا نعلمه ولعل اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى تفتح بتفسير ذلك لأحد غيرنا فلا تلزمنا بردّ ما لا نعرف له تفسيراً منطقياً الآن. وهلمّ جرّاً.

ز-طيب، لا تريد العقل، ولا تريد القرءآن. فهل تريد الرواية؟ خذ رواية من صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب قال {حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبّون أن يُكذَّب الله ورسوله} أقول: يعني بما يفهمون ويستطيعون معرفته. ثم

لاحظ أنه اعتبر مَن يحدّث الناس بما لا يعرفون يؤدي بالمُحدّث إلى التكذيب بالله ورسوله وليس إلى قتل المكذّب بالحديث على طريقة السيف والنطع التي يفرح بها الشيخ. فالتحذير للمُحدِّث، وليس على السامع الذي يكذّب بأمر لا يعرفه. خذ رواية أخرى من صحيح مسلم، عن ابن مسعود قال {ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة} فهذا شاهد آخر على أن الحديث لابد أن يكون في نطاق ما تبلغه العقول، وإن وقعت فتنة بسبب ذلك فالمسؤول المتحدّث وليس السامع المفتون. وهذا كلّه بالنسبة للحديث الذي هو حقّ في نفسه، وليس الحديث المشكوك فيه أصلاً أو المردود بالقطعيات والأدلة القوية كما هو حال موضوعنا. وفي رواية أخرى مشهورة عن النبي {إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نحدّث الناس على قدر عقولهم}. فادعاء الشيخ إذن أن الدين يأتي ويكلّف الناس بعقائد ما فوق حدّ العقل، على فرض وجود هذا الحدّ، يخالف حتى هذه الأحاديث الصحيحة والمعتبرة والمشهورة عن النبي واثنين من أهمّ علماء القرءان من أصحابه كما هو معروف.

ح-قول الشيخ بأن الغيبيات هي أمور ما فوق إدراك العقل، فيه مغالطة. لو كان فعلاً يوجد في الدين ما هو كذلك، لوجب تصديق أصحاب التثليث أيضاً، فإنهم أيضاً يقولون بأن الجمع بين الاعتقاد بالإله الواحد وأن له ثلاثة أقانيم لا تبطل وحدته، هو أيضاً من الأمور التي لا تخالف العقل لكنها فوق إدراك العقل، راجع مثلاً فصل التثليث من كتاب توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، فإنه بعد أن يقرر بأنه لا يخالف العقل يثبت أنه معروف من

النصوص الدينية ويبدأ بالشرح. فهل يجوز قبول كل عقيدة بحجّة أنها "فوق إدراك العقل" وهي من "الغيبيات التي يجب التسليم بها تعبّداً"؟ بطل الدين كلّه بهذا وصار الأمر فوضى بحتة.

ط-الأمر الغيبي معقول ومعلوم، لكنه غير محسوس. فهو غيبي لأنه مجرّد عن الحواس ومتعالي عليها، وليس لأنه غائب عن العقل وقابليته للكشف والفكر. فهو مرئي بالرؤية العقلية وليس بالرؤية الحسّية. ومن أهمّ التحريفات التي أحدثها الكثير جداً من الشيوخ في هذه الأمّة، هو جعل مفهوم الإيمان في القرءان مساوياً لمفهوم التقليد الاعتقادي بغير برهان ولا شهود ولا معرفة ولا تحقيق. يعني صار الإيمان عندهم مرادفاً للاعتقاد التقليدي. وليس كذلك. الإيمان في كتاب الله تابع للعقل والعلم، كما قال مثلاً {ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون} فالذين يعقلون ويجاهدون في سبيل الله لمعرفته {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} لكن الذين لا يعقلون يُجعَل عليهم الرجس، فالتعقّل تطهير للنفس وإعداد لها للعلم والمعرفة الحقة. ومثلاً قال {لما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً} فزادهم إيماناً بعد الرؤية. كذلك مثلاً في صاحب المائة عام {فلما تبيّن له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير} وتبيّن له بعدما جرّب وذاق ورأى. كذلك في إبراهيم {أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير..واعلم أن الله عزيز} فجعل طريق الإيمان الذي يطمئن له القلب مبني على التجربة والشهود

والرؤية. وهكذا في بقية الآيات لن تجد الإيمان على معنى التقليد الأعمى وما يسمّيه أئمة الجهل "التسليم" أبداً.

ي-أما التسليم الذي يرجعون إليه، فهو في قوله تعالى {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما}، لكن هذه الآية لا تساعد المشايخ على شيء من أمر الروايات، لأن الآية على أقلّ تقدير تتحدّث عن النبي الحي الحاضر الذي يحكم في أمر بعد التحاكم إليه في مشاجرة بين المؤمنين، بالتالي قد عرفوا أنه حكم النبي من النبي مباشرة وعرفوا أن النبي يحكم بكتاب الله وبما يريه الله فيه بالحق وهو مأمور بالعدل ويحكم به وليس بالهوى. أين هذا الذي تدلّ عليه الآية مما نحن فيه. أين هذا من رواية فلان عن فلان عن أبي هريرة أن النبي قال كذا وكذا. كيف وقد قال النبي "من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار" نعم بدون "متعمداً" في رواية وبها في أخرى، وهل سيكذب على النبي إلا أناس عاصروه ممن صار اسمهم بعد ذلك "الصحابة"؟ فلا أحد سيقبل كلمة عن النبي إلا من شخص عاصره ويُظهر الإسلام والإيمان به، لا أحد سيأخذ رواية في سندها مسليمة الكذاب ولا ابن سلول، لكن من دون ذلك في الحال والشهرة بالكفر والنفاق هم الذين سيكذبون على النبي وتوعدهم بهذا. فعدم التسليم لرواية عن النبي، ليس مثل عدم التسليم لحكم النبي الذي تشير إليه الآية. هذه مغالطة شنيعة بل تحريف لمفاهيم الدين بدون حياء لأنه أمر ظاهر ولا يحتاج إلى عبقرية لإدراكه بإذن الله. نقد الروايات المنسوبة للنبي شيء، ونقد حكم

النبي الصريح الفصيح الحاضر شيء آخر. دليل آخر على هذا المفهوم البديهي، والاستدلال على البدهيات أمر يضطر إليه مَن يخاطب المُقلّدة والعاكفين على الرواية، هو أن أصحاب الروايات أنفسهم قد يردّون روايات منسوبة للنبي فقط لأن في سندها شخص هم لا يوثّقونه ولا يرضون عنه وليس لأنهم يعلمون حقاً أنه في هذه الرواية تحديداً قد كذب ولعله حتى إن كان مبتدعاً أو كذاباً حسب تصورهم قد صدق في هذه الرواية تحديداً فهم في مثل هذه الحالة وغيرها لا يبالون بردّ الرواية ولعلها صدرت من النبي، وأحياناً قد يعتقدون بصحة سندها لكن بسبب شذوذ أو علة في المتن يردّون الرواية أو يضعفونها ولعل النبي قد قالها فعلاً ويكون صاحب الرواية ذات المتن الشاذ قد قال حقاً فمع ذلك لا يبالون بهذا الاحتمال ويسقطونها، وكذلك قد يثبتون صحة الرواية ويقولون أن العمل على غير ذلك لاعتبارات أخرى عندهم، وقد تتعارض عندهم الروايات فيختار بعضهم العمل برواية دون الأخرى كما تجده كثيراً في الاختلافات الفقهية، فإذا جاز كل هذا وأكثر منه، فمن باب أولى أن يجوز ردّ رواية لأن متنها يخالف القرءان أو العقل القرآني أو العقل الوجودي والذوق الحيّ للذين ينظرون في ملكوت السموات والأرض ويعرفون الله تعالى ورجعوا إلى فطرتهم. وليس هذا من الردّ على النبي في قليل ولا كثير ولا عدم التسليم له. رواية مثل لطم موسى ملك الموت، ردّها ليس رد على النبي لكنه رد على أبي هريرة أو غيره إن كان غيره قد اختلقها ونسبها إليه، أو هو ردّ على أقلّ تقدير بعض احتمالات الرواية المفهومية.

ك-ثم رواية لطم موسى ملك الموت، ليست "فوق إدراك العقل". كما أنه لو بلّغنا أحد رواية مضمونها أن جبريل لطم عين النبي والعياذ بالله، فلن نتردد في ردّها بل ولعلهم يكفّرون صاحبها ولا يترددون بطلب السيف والنطع من الغلام المجرم.

ل-الزعم بأن الابتلاء بالتسليم يعني قبول المحالات والسخافات بل والكفريات وما يخالف العقل وينقضه ويشوّه عقل المؤمن المتشكّل بكتاب الله ويحرفه، هو مجرّد جرأة على الله ورسوله ودينه لا أكثر ولا أقلّ. ونوع من تعويد العامّة على إبطال عقولها حتى تصبح كما هي الآن في كل بلدان المسلمين العربية في حكم الأنعام للشيوخ والحكام. أي إنسان يقبل على نفسه مثل هذه الحالة فقد أهان نفسه من أجل بشر وليس من أجل الله تعالى ولا دينه الحق. هو لا يُسلّم لله ورسوله، لكنه يُسلّم لهؤلاء الدجاجلة. قطعاً ويقيناً، لن يُسأل إنسان يوم الحساب لماذا أعمل عقله واتبعه، بل سيُسأل لماذا لم يُعمل عقله ولم يتبعه {ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون}.

هذا بالنسبة للصنف الثاني من رد الشيخ. وهو كما ترى سيل من المغالطات والتحريفات.

لنختم بهذه الفقرة إن شاء الله: الداعي لهذه المقالة هو الأصول التي يروج لها الشيخ أكثر من رواية لطم موسى ملك الموت تحديداً، فهي مجرّد طلع من

الشجرة الخبيثة وهمّنا اجتثاث هذه الشجرة أكثر من رد كل ثمرة من ثمارها. لكن بعد أن فرغنا من ردّ الأصول، لننظر، هل جاء "السابقون" الذين يفرح بهم الشيخ بما يشفي الغليل في تفسير لطم موسى ملك الموت؟ تعالوا ننظر إن شاء الله ونختم بذلك.

لتبرير اللطمة جاء شرّاح هذا الحديث بل لنقل مُرَقْعة هذه الرواية بأقوال، إذا دققت فيها وجدتها أشبه ما تكون بأقوال محامين الدفاع في المحاكم الذين همّ الواحد فيهم كسب قضية لموكّله أيّا كان الثمن. فلا داعي للنظر في الملائمة بين الأقوال، المهم أن يرموا بأكبر عدد ممكن من الأقوال والتبريرات حتى يتم إظهار ما هم عليه على أنه مُفسّر علمياً ومبرر دينياً، لكن بعد ذلك لا داعي للتدقيق في كل جواب ولا في العلاقة بين الأجوبة. وهم يسمّون المعترض على هذه الرواية مرّة بأنه من "المبتدعة" ومرّة بأنه من "الملاحدة". فتعالوا نرى مَن المبتدع والملحد.

١-يقول ابن حجر في فتح الباري ناقلاً عن ابن خزيمة: {وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت وقد أباح الشارع فقوء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه.}

أقول: ليس في نص الرواية هذا المعنى. بل هم نفسهم ينقلون أن ملك الموت كان قبل هذه الحادثة يأتي الناس علانية، لكن بعد ذلك صار يأتي الناس خفية (تعلّم الدرس يعني! حتى لا يلطمه أحد! انظر مَن الملحد هنا)، فنعم لنقل أن الملك يأتي متمثلاً بصورة آدمي، كما قال في مريم أيضاً "فتمثل لها بشراً سوياً. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا" فيبدو أنها لم تعرف أنه رسول ربها، لكن ملك الموت حين دخل على نبي الله موسى وقال له " أجب ربّك" لم يرجع إلى ربّه ويقول له "لم يعرف أني ملك الموت يا ربّ"، بل حسب الرواية أنه رجع وقال لله تعالى أن موسى لا يريد الموت وقد فقأ عينه، فلم يذكر أنه لم يعرف أنه ملك الموت، ولو كان فعلاً دخل عليه بصورة آدمي فظن موسى أنه حرامي مثلاً أو قاتل كما يزعمون لوجب على ملك الموت بعد أن أخذ اللطمة أن يقول لموسى "هدئ أعصابك أنا ملك الموت" أو شيء من هذا القبيل حينها ينظر هل يريد موسى الموت أم لا. وأما أن يأخذ لطمة لأنه كان مجهولاً لم يعرّف عن نفسه ثم يهرب إلى ربّه بدون إتمام ما أُرسل من أجله ففيه والعياذ بالله تصوير لملك الموت على أنه كالوسواس الخنّاس الذي يخنس بمجرد ما تستعيذ بالله منه لكن هنا صار ملك الموت يهرب من مهمّته التي بعثه الله بها حتى قبل تعريف موسى كليم الله بها لكن خنس وهرب بمجرد ما أكل اللطمة، ثم رجع إلى ربّه وزاد الطين بلّة حين والعياذ بالله كذب على موسى أنه لا يريد الموت والواقع أن موسى-حسب التبرير الذي يقدّمه صاحبنا-لم يعرف أصلاً أنه ملك الموت. نعم، إبراهيم لم يعلم أنهم ملائكة

لكنهم أعلموه، لوط لم يعلم لكنهم أعلموه، مريم لم تعلم لكنه أعلمها وكشف لها عن هويته، فلنقل كذلك أن ملك الموت لم يعلم موسى لكنه دخل بدون إذن ولا دستور وقال له "أجب ربك" ظانّاً، لا أدري لماذا، أن موسى يعرف أنه ملك الموت ولم يتنبّه ملك الموت-الذي كان في هذه الوظيفة منذ خلقه الله ووكّله بالموت-أن موسى لن يعرف حقيقة هويته بمجرّد ظهوره وكلامه، ثم رجع وكذب على موسى عند الله تعالى ورماه بغير علم وتحقيق أنه لا يريد الموت. فهذا جواب أسوأ من عدم الجواب.

ولم يكتفي ابن خزيمة بذلك الجواب الشنيع، حتى زاد عليه بقياس ملك الموت في استحقاق اللطمة وفقء العين على مَن {أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن} يعني جعل ملك الموت عليه السلام بمثابة المتلصص الخبيث في بيوت المسلمين ! وغاب أيضاً عن ابن خزيمة أن ما قاس عليه لا ينفعه، فالناظر في دار المسلم بغير إذن يعني الناظر فيها من الخارج كالمتلصص الذي يثقب الباب أو الجدار أو ينظر من ثقوب الجدران والأبواب ونحو ذلك، فأين هذا من ملك الموت الذي حضر ومثل أمام موسى وكلّمه بل كان على بُعد لطمة يد من موسى.

ثم من أين لابن خزيمة أن هذه الحادثة حصلت في دار موسى؟ لا يوجد نصّ على ذلك فيها فهو افتراض من مخترعاته. فقوله {رأى آدميا دخل داره بغير إذنه} من أين جاء به؟ وهل رسل الله تلطم كل آدمي تراه في دورها دخل بغير إذنها؟ اقرأ عن داود {إذ تسوّروا المحراب. إذ دخلوا على داود ففزع

منهم قالوا لا تخف} فهذا داود قاتل جالوت وهو مَن هو تسوروا محرابه ودخلوا عليه بغير إذنه كما يبدو لأنه لو أذن لهم لما فزع منهم ومع ذلك لم يلطمهم. وأما الادعاء بأن موسى قد رُكّبت فيه حِدّة لذلك لم يحتمل نفسه حتى لطمه، فهذه مشكلة نفسية من اختراعاتهم أيضاً ولا تناسب مقام الرسالة، وموسى مع كل ما حدث له يوم العجل وما عاناه من إرجاع ربه له بعد حادثة السامري وما رأى قومه فيه ما زاد على أن "أخذ رأس أخيه يجرّه إليه" وليس في هذه العملية أي جرح للرأس أو للبدن أو إدماء أو ما شاكل وحتى هذه ما فعلها إلا مع أخيه الذي هو منه بمنزلة قريبة ثم سكت عنه الغضب ولم يمسّ حتى شعرة من السامري رأس الفتنة كلها. فعن أيّ حدّة يتحدّثون ولو كان الواحد فينا يكلّم إنساناً يحبّه ثم قاطعه إنسان لعله يغضب أضعاف ما غضبه موسى حين حصل له ما حصل مع ربّه العلي الأعلى وما فعله قومه من الشرك بالله بعد كل ما أنذرهم وأخبرهم به حين سألوه إلهاً صورياً صنمياً. فزادوا لتبرير هذه الرواية خصلة خبيثة نسبوها إلى مَن سمّاه الله {رسول كريم} وقد عرفنا من كتاب الله ما هو عليه من أخلاق وحلم وعلم ولطف، والاستثناء الوحيد ليس استثناءً كما بيّنا ولو دققت ونظرت في حياة أصحاب الحِدّة فعلياً من البشر لوجدت الواحد فيهم لو رأى أو حدث له ذرّة مما حدث لموسى لعلّه يبدأ بسفك الدماء. والأدهى من ذلك أن الحادثة التي تحكيها الرواية إما وقعت لموسى في آخر حياته، يعني بعدما شاخ وكبر ويقال أنه بلغ مائة سنة أو أكثر أو نحو ذلك، أيا كان فقد صار شيخاً كبيراً، فهل حتى بعد كل هذه العبادة

والمعرفة بالله وكبر السن وبلوغ حافة الأجل لم يزل موسى يعاني من مشكلة " الحدّة" التي يزعمون لم يحلّها. فهذا جواب قول ابن خزيمة {أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة}. وكما ترى فموسى لم يدفعه عن نفسه كما قال، فإن ملك الموت جاءه بالقول "أجب ربك" ولو أراد قبض نفسه جبراً لما قال له شيء أصلاً، ولو كان يريد قبض نفسه حقاً لما ردّته لا اللطمة ولا الركلة ولا شيء من ذلك، طبعاً لا يخفى أن كل هذا تصوير تجسيمي بحت للملائكة وكأنهم حتى بعد ما يتمثّلون بشراً سوياً ينزلون إلى خصائص البشرية الطبيعية.

ثم قال ابن خزيمة { الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فلهذا استسلم حينئذ} هذا أيضاً اختراع من عنده مخالف لنصّ الرواية، هؤلاء يتكلّمون وكأن الناس مجانين لم يقرأوا الرواية التي يخوضون فيها. اقرأ الرواية بنفسك وانظر. موسى لم يستسلم لأنه عرف أن هذا الذي جاءه هو ملك الموت، بل رضي بالموت حين عرف أنه ميّت لا محالة ولو طال العمر بعدد شعرات الثور الذي سيضع يده على ظهره. لا يوجد في الرواية أي ذكر لأدنى تغيّر في طريقة ظهور ملك الموت لموسى ما بين المرّة الثانية والأولى، ولا أدنى إشارة. بل لا نجد حتى اعتذار من موسى لملك الموت في لطمه أوّل مرّة على فرض أنه لم يعرفه، فالمفروض أن يقول له "العفو لطمتك قد حسبتك آدمي دخل داري بغير إذني وأنت تعلم أني حادّ الطباع" أو شيء من هذا القبيل مما نجده بين الناس حتى، لكن موسى في أول مرّة وثاني مرّة لم يتعامل معه إلا على أنه ملك الموت لا غير. ولم يكتشف أنه ملك الموت لردّ عينه عليه

كما يدعي ابن خزيمة، وكأن ردّ عين الملطوم تعني أنه ملك الموت ! من أين له هذا لا أدري. وفي المرّة الثانية حسب النصّ لا يوجد خبر على أي تعريف خاص من الملك مثل أن يقول له بعد التمثّل في صورة آدمي وأيضاً بغير إذنه دخل عليه أو التقاه "أنا ملك الموت يا موسى" أو شيء من هذا القبيل.

كما ترى، هذا الجواب يصنع مشاكل تحتاج إلى أجوبة بحد ذاتها. لذلك لم يكتفوا بهذا. فحاولوا رمية أخرى أو رقعة أخرى.

٢-قال ابن حجر ذاكراً قول النووي {لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانا للملطوم.}

أقول: امتحاناً لملك الموت !؟ الذي لا يسبق الله بقول ولا يفعل إلا ما يؤمر ولا يكون إلا على ما يرضي الله.

لاحظ هنا أن العدوان يتم تبريره بحجّة إذن الله ونوع من الجبرية والقضاء والقدر الذي يبررون فيه عادة عدوان الحكام على العامّة والخلق، فالعيب ليس في الذي يلطم لكن لابد من تبرير اللطمة لصالحه، وعلى الملطوم أن يصبر، فهؤلاء جعلوا ملك الموت واقعاً تحت رواية "أطع الأمير وإن جلد ظهرك وأخذ مالك"، لكن في هذه الحالة صار ملك الموت هو الممتَحَن الذي لابد أن يُلطَم ويصبر. أين هذا في الرواية؟ المشكلة أن ملك الموت في الرواية رجع إلى ربّه واشتكى من عينه المفقوءة، وربّه لم يخبره "قد فعلت ذلك لأمتحنك". اختراع آخر.

قرآنياً، الامتحان لا يكون إلا عند الشك في الشكر والإيمان. {لنعلم مَن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه} أو في المؤمنات المهاجرات {فامتحنوهن}، أو {أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون} وما شابه. أما امتحان الملائكة، وأي ملك، ملك الموت نفسه، فهذا أمر من ابداعات (أو مبتدعات؟) أصحاب أبي هريرة لتبرير رواياته.

إن قلت: هاروت وماروت من الملائكة. أقول: لا يوجد في الآيات أن الله يمتحن هاروت وماروت، بل ذكر أنهما فتنة للناس حتى يتبيّن مَن يريد الآخرة من الدنيا وما أشبه مما ذكرته الآية.

إن قلت: الملائكة الذين اعترضوا على استخلاف آدم. أقول: على فرض أن الذي اعترض ليس إبليس بل عموم الملائكة، فأيضاً لا يوجد امتحان لهم بلطم وما شابه، وإنما هم الذين بدأوا بالاعتراض برفع قدر نفوسهم على بني آدم فسألهم الله عن أسماء معينة ليتبيّن قلة علمهم، فالامتحان إن سمّيناه امتحاناً من عند أنفسنا ولم يسمّه الله كذلك فهو شيء تفرّع عن عملهم هم أولاً فما حدث لهم كان جواباً لقولهم وليس امتحاناً ابتداءً لهم، وهذا خلاف ما يزعمه النووي هنا بالنسبة لملك الموت فالرواية تبيّن تعرضه للعدوان على يد موسى وليس تعرضه للامتحان من قبل الله تعالى. وقد نقل ابن حجر رواية فيها قول ملك الموت لله {يا رب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه} ولا أريد الدخول في تحويل عملية الموت إلى عملية مساومة ومقاومة و {لشققت عليه} وكأن ملك الموت عسكري تابع لنظام وموسى له علاقة جيدة

مع رأس النظام العسكري فنالته "واسطة" وعناية خاصة بسبب ذلك وضبط ملك الموت أعصابه رعاية لكرامة موسى على الرئيس، وإلا كان سيشقّ عليه بسبب اللطمة. وفي هذا أيضاً ردّ على الادعاء بأن ملك الموت جاء في صورة آدمي فلم يعرفه موسى، إذ لو كان هذا هو الحال لكان موسى معذوراً في لطمه وما كان لملك الموت أن يشتكي من ذلك بل أقلّ ما كان سيقوله له ربه أو حتى يقوله هو لنفسه "أخطأت حين لم أعرّفه ابتداءً أني ملك الموت، ودخلت عليه واقترب منه فوراً وأنا أعرف حدّته التي رُكّبت فيه، فكان ينبغي أن أقف بعيداً قليلاً وأقول له انتبه يا موسى أنا ملك الموت أجب ربّك".

أما قول النووي {لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة} فنرجع إلى {لا يمتنع} بأي معنى بالضبط؟ المعنى العقلي التجريدي أم المعنى العقلي القرآني الإيماني؟ احتاروا في نسبة اللطمة لمن، مرّة هي بسبب حدّة موسى بالتالي هو المخطئ، ومرّة بسبب دخول ملك الموت عليه داره بغير إذنه بالتالي ملك الموت هو المخطئ، والآن صعدوا أكثر فنسبوا العدوان إلى رب العزّة جلّ وعلا وعن إذنه تعالى في حق ملك كريم لم يفعل أكثر من إقامة مقتضى أمره ولا داعي لامتحانه أصلاً إذ لا علاقة للملائكة بالامتحانات إذ إنّما يُمتحن مَن يمكن أن يُخطئ وله ثواب وعليه عقاب ويختلط فيه العقل والشهوة والملائكة ليست من هذا كلّه في شيء.

حسناً، محاولة بائسة. هل لديهم مزيد من المحاولات؟ نعم لكنها محاولة ردّوا عليها بأنفسهم.

٣-قال ابن حجر }قال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن قيل وهذا أولى الأقوال بالصواب.{

أقول: هذا الذي سمّاه بعضهم "أولى الأقوال بالصواب"، ردّه ابن حجر بالعبارة التالية:

}وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال لم أقدم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط.{

أقول: فصاحب ذلك التبرير جعل ملك الموت مقصّراً في عمله، مخلاً بشرط وظيفته، فجعله ناسياً أو مخطئاً أو ماذا بالضبط؟ وإن جاز لملك الموت أن ينسى شرط قبض روح نبي وهو مأمور بذلك، فهذا خلاف قوله تعالى " ويفعلون ما يؤمرون"، وكذلك يؤدي إلى فتح باب القول: فما أدرانا أن جبريل حين نزل بالقرءان لم يخلّ بشيء من الوحي الذي أُمر به؟ بما أن الملائكة الموكّلة بالأمر قد تُخلّ به ولا تأتي به على وجهه الذي أمرها الله به، فيمكن أيضاً أن يكون جبريل قد أخلّ بشيء من أمر الله الذي أنزله به، ومرحباً بالكفر بالقرءآن والنبوات حينها.من الملحد الآن، المعترض على رواية صاحب الهرّة أم الراغب في ترقيعها مهما كلّف الثمن.

عرف ابن حجر بطلان هذا التبرير فقال: {فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانا}. ونقول نحن: فيعود الجواب على قضية الامتحان المبهمة بل الباطلة كما مرّ.

لا يزال في كيس المبررين أشياء.

٤-قال ابن حجر {وزعم بعضهم أن معنى "فقأ عينه" أي أبطل حجّته}

أقول: هؤلاء جاءوا بهذا التبرير الباطني الغريب، كما ترى لأنهم أرادوا التخلّص من عدوان موسى على ملك الموت بغير حق. فأرادوا تحويلها إلى معنى علمي تجريدي، وباستعمال المجاز. لا نطيل في جواب هذا لأن ابن حجر رحمه الله تكفّل بذلك حين ردّه مباشرة بأنه قول مردود {في نفس الحديث "فرد الله عينه"} وكذلك بقوله في الرواية {لطمه وصكه وغير ذلك من قرائن السياق}. يعني، إن كان موسى أبطل حجّته فهي حجّة باطلة، فكيف رجع ملك الموت إلى ربّه وردّ عينه يعني ردّ حجّته وجعلها حقاً، فإن كانت حقاً ابتداءً فلا داعي لردّها انتهاءً، وإن كانت باطلة فلا معنى لردّها. باختصار، كلام فارغ. نكمل مع محاولة أخرى لابن قتيبة، المرقّع الشهير للمرويات.

٥-قال ابن حجر {قال بن قتيبة إنما فقأ موسى العين التي هي تخييل وتمثيل وليست عينا حقيقة ومعنى رد الله عينه أي أعاده إلى خلقته الحقيقية وقيل

على ظاهره ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره وهذا هو المعتمد}

أقول: هل فهمت شيئاً؟ صار ابن قتيبة أيضاً باطنياً على ما يبدو. تعالوا نقرأ بهدوء حتى لا يعموا أعيننا بهذه الألفاظ المتداخلة.

قال {إنما فقأ موسى العين التي هي تخييل وتمثيل وليست عيناً حقيقة} يعني ملك الموت عينه لم تكن عيناً {حقيقة} بل هي عين {تخييل وتمثيل}. ممتاز. إذن ملك الموت لم يتمّثل بجسم مادّي حقيقي، بل تمّثل على نحو التخييل فقط. حسناً، لنقل بذلك. لكن المصيبة الآن أكبر: كيف فقأ موسى عيناً ليست حقيقية بل هي مجرّد عين تخييل وتمثيل؟ هذا كقول إنسان: شربت من السراب وضربت الظل وكسرت الهواء. كلام فارغ. موسى له بدن مادي طبيعي حقيقي، ملك الموت جاء بجسد غير حقيقي بل هو {تخييل وتمثيل}، فكيف يضرب صاحب اليد المادية صاحب العين الخيالية؟ أرادوا تكحيل الرواية فأعموها. إلا أن يقول ما هو أغرب: ملك الموت تمثل بجسم بشري مادي باستثناء عينه التي فقأها موسى ! وموسى كان كل بدنه مادي إلا يده فإنها كانت تطول الأجزاء الخيالية من الوجود ! فإن جاز مثل هذا فليجز أي شيء بعد ذلك.

لنعده يكمل تفسيره. {ومعنى "رد الله عينه" أي أعاده إلى خلقته الحقيقية وقيل على ظاهره. ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره}. هل فهمت شيئاً؟

ملك الموت هل له عين بشرية أم عين تخييل وتمثيل؟ هناك قال عين تخييل وتمثيل. هنا يقول بأن الله رد إلى ملك الموت {عينه البشرية} فملك الموت كانت له عين بشرية إذن. أم أن موسى فقأ العين الخيالية، أيا كان معنى ذلك، فرد الله على ملك الموت عيناً بشرية؟ وهل هذا كلام معقول أصلاً. ثم قوله {رد الله} الرد لا يكون إلا لشيء كان موجوداً، فإن فقأ موسى العين الخيالية فالرد يكون لعين خيالية، وإن فقأ عيناً بشرية فالرد يكون لعين بشرية. والأهمّ من كل هذا، من أي كيس بالضبط أخرج ابن قتيبة كل هذه التفاصيل؟ هل لديه مصادر سرّية لا نعلم عنها ولا تعلم الأمّة بها استطاع بها اختلاق هذه التبريرات؟ أم أنه ربط نصوص ببعضها فأخرج ذلك فأين الربط وأين النصوص بالضبط؟

يقول أن الله أعاد ملك الموت {إلى خلقته الحقيقية} ما معنى هذا؟ خلقته الحقيقية خلقة نورانية. هذا بديهي، سيرجع إلى السماء فيرجع إلى حقيقته النورانية بدون تمثّله الآدمي الصوري حين هبط إلى الأرض. فهذا ليس رداً له، بل بمجرّد رجوعه يكون كذلك بل في الحقيقة لم يتغيّر عن ما هو عليه كما أن جبريل لا يتغيّر في حقيقته النورانية سواء تمثّل بشراً سوياً أم لم يتمثّل صار ما صار لصورته البشرية الخيالية كالصورة في المنام في بشرية لكنها خيالية، وأما البشرية الحقيقية فهي المادية.

ابن قتيبة أثبت أن العين التي فُقأت هي عين التخييل لا عين الحقيقة، لكن التي رُدّت هي العين البشرية فهل يقصد بالتي رُدّت العين البشرية التي

هي حقيقة البشرية أم البشرية التي هي خيال البشرية؟ إن كان يقصد حقيقة البشرية فقد فرغنا وأقرّ هو بأن موسى لم يفقأ هذه. وإن كان يقصد خيال البشرية فكيف يردّ عليه عيناً لم تُفقأ أصلاً؟

هذه نوعية الأجوبة التي يضحك الشيخ الكّلي على مَن لا تشبعه ويظن أن مجرّد نقاش السابقين الذين عرفوا هذه الاعتراضات يكفي لاعتبار المعترض اليوم وكأنه يأتي بما لا قيمة حقيقية له.

بقيت محاولة أخيرة ذكرها ابن حجر. فلعل الأخيرة فيها الخيرة.

٦-قال ابن حجر {وجوز بن عقيل أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر}

أقول: تعرف الاختلاق ومحاولة رمي أي شيء لعل واحدة منها تفقأ عين القارئ ويكفّ عن السؤال، بقوله {وجوّز بن عقيل}، {جوّز} من الجواز والجائز، فهذا هو الفقه في الدين والحديث عندهم، أن يقولوا في هذه المرويات الخطيرة والمسيئة {جوّز}. فلنحتمل كل سيئة ولتحمل الأمّة كل خبيثة في كل رواية طالما أنه يوجد احتمال {جوّز}. لن نقطع ولن نجزم ولن نعرف ولن نوقن، بل يكفي أن نقول {جوّز}.

حسناً، فصبر جميل. ما الذي جوّزه بن عقيل؟ الأخ جوّز {أن يكون موسى أذن له} لاحظ لم ينصّ هنا صراحة أن الله هو الذي أذن له كما قالوا

من قبل أن الله أذن في لطم ملك الموت، هنا العبارة ألطف بالبناء للمجهول " أُذن له" لكن المفهوم أن الله هو الذي يأذن وإلا فَمَن سيأذن بلطم ملك الموت إلا رب ملك الموت جلّ الله وحاشا الكرام. نُكمل.

جوّز {أن يكون موسى أُذن له أن يفعل ذلك بملك الموت وأُمر ملك الموت بالصبر على ذلك} جيد، هنا الآن تمت إضافة بند جديد للرواية، غاب عن سيد العرب والعجم عليه الصلاة والسلام وأدركه ابن عقيل، وهو أن ملك الموت أُمر بالصبر على ذلك، أين أُمر؟ أين في الرواية أن ملك الموت كان مأموراً بالصبر على ذلك؟ ولو كان أُمر بالصبر هل كان سيرجع إلى ربّه ويشكو موسى بل وأن يقول لربّه لولا كرامة موسى عليه لشققت عليه، كان المفترض أن يقول: لولا أنك أمرتني بالصبر عليه لشققت عليه. يبدو أن ابن عقيل يجوّز ما لا يعلمه أحد إلا هو. لا ندري، لعله أيضاً كيساً أو مصدراً سرّياً كابن قتيبة يستخرج منه أسرار الرويات وما يجوز فيها. نكمل.

ما وجه أمر ملك الموت بالصبر على لطمة موسى لمجرّد أنه أراد القيام بمهمّته الإلهية في قبض روحه؟ يقول ابن عقيل، {كما أُمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر}. هذا تجاوز للجهل إلى تحريف القرءان. فأوّلاً، لا وجه للقياس بين موسى والعالِم المسمّى عندهم الخضر وبين ملك الموت وموسى. ثانياً، اقرأ قصّة موسى "والخضر"، موسى لم يؤمر بالصبر، بل العالِم قال له "إنك لن تستطيع معي صبراً. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا"، فقال موسى من عند نفسه حينها "ستجدني إن شاء الله صابراً" فلم يأتي لموسى أمر بالصبر. ثالثاً،

نهي العالِم موسى عن السؤال كان لمقصد تعليمي لاحق، فأي شيء أراد موسى تعليمه ملك الموت بهذه اللطمة الناتجة عن مجرّد الحِدّة كما قالوا في إحدى محاولاتهم الترقيعية. كله مبهم، ألفاظ معقدة، وذكر لأسماء وقياسات، والمهم قول أي شيء والسلام.

كم محاولة للسابقين الذين يفتخر بمعرفتهم الشيخ ويعتبر مجرّد إدراكهم الاعتراض دليلاً على وجود ردّ على الاعتراض أو عدم جواز الاعتراض لاحقاً أو أن مكرر الاعتراض لم يأتي بجديد.؟ ستّ محاولات. قيمتها؟ صفر. بل تحت الصفر، لأنها متناقضة متعارضة، مبنية على أوهام واحتمالات مبهمة، ويشتمل بعضها على كفريات وطعن في الله وملك الموت وموسى. كل هذا جائز عند القوم لماذا؟ حتى لا نطعن في أبي هريرة ! حتى لا نطعن في السند الصحيح ! نعم اطعن في الله وفي ملك الموت وفي موسى وفي القرءان وفي النبي وفي العقول وفي كل شيء في الوجود، لكن اترك لنا عجلنا وافعل ما تشاء بعدها. اترك لنا عجلنا الذي له خوار يعجبنا، وهو من أثر رسولنا، ثم قل ما تشاء، جوّز واحتمل واخترع وابتدع واكفر والحد، كل شيء حتى يسلم لنا ديننا المبني على أبي هريرة وأمثال أبي هريرة والسند الذي ما هو بسند. {ألا ساء ما يحكمون} و {ألا ساء ما يزرون}.

الحمد لله على نعمة القرءان، الحمد لله على نعمة العقل، والحمد لله الذي نجّانا من القوم الظالمين. والحمد لله رب العالمين.